الإنصاف

فيما ورد في الترادف من خلاف

بقلم

دكتور

طه عبد الخالق عبد العزيز طايطة

المدرس بقسم التفسير وعلوم بالكلية

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ أنزل عليه الكتاب ليدبروا آياته ، وجعل ذلك غاية إنزاله وتذكرة لأولى الألباب . قال تعالى : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »(١) .

والدعوة إلى تدبره دعوة لاستكشاف أسراره واستجلاء أنواره ، والتعرف على أسرار الإعجاز فيه قال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »(٢) .

وجوانب الإعجاز فيه متعددة ، وفى مقدمة ذلك الإعجاز اللغوى (والصحيح الذى عليه الجمهور والحذاق فى وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة الفاظه. وذلك أن الله أحاط بكل شىء علماً ، وأحاط بالكلام كله ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أى لفظة تصلح أن تلى الأولى من أول القرآن إلى آخره .

ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك .

وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد(٣) .

---

(١) سورة ص آية ٢٩ .

(٢) سورة النساء آية ٨٢ .

(٣) انظر المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسى. المجلس الوطنى بقطر — المقدمة ١/٥٩ - ٦٠ .

ولذا استرعى انتباهى قول القائلين بوقوع الترادف فى القرآن الكريم فتناولت قضية الترادف فى اللغة والقرآن الكريم فى هذا البحث وسميته (الإنصاف فيما ورد فى الترادف من خلاف) .

واشتمل هذا البحث على ما يأتى :

١ — تعريف الترادف فى اللغة والاصطلاح .

٢ — علاقة المعنى اللغوى بالمعنى الاصطلاحى .

٣ — علاقة اللفظة المفردة بالمعنى .

٤ — أهم المصنفات فى الترادف .

٥ — أراء العلماء فى وقوع الترادف فى اللغة .

المذهب الأول : المنكرون لوقوع الترادف .

المذهب الثانى : الثانى : المثبتون لوقوعه .

٦ — تحرير محل النزاع بين الفريقين وبينت أن الخلاف بينهما لفظى .

٧ — فوائد الترادف فى اللغة .

٨ — الترادف فى القرآن الكريم .

ذكرت آراء العلماء فى وقوع الترادف فى القرآن الكريم .

الرأى الأول : ذهب أصحابه إلى نفى الترادف فى القرآن الكريم .

الرأى الثانى . اعترف أصحاب هذا الرأى بوقوعه فى اللغة ونفوه فى القرآن الكريم ، وذهب بعض أصحاب هذا الرأى إلى إثباته فى القرآن الكريم ، وذكروا ذلك فى مواضع من مؤلفاتهم ، وأنكروه فى مواضع

أخرى ، فتتبعت ذلك و بينت القصد منه عند الإثبات وعند النفى ، ودفعت التضارب بين الأقوال .

الرأى الثالث : زعم هذا الفريق وقوع الترادف فى القرآن الكريم وساق بعضاً من الآيات تأييداً لدعواه ، ففندت تلك الدعوى التى ساقها وبينت أن استدلاله بتلك الأدلة غير صحيح ، وهذا منهج مرفوض لا يستقيم ولغة القرآن الكريم فلنظم القرآن براعته فى دقة اختيار اللفظ جامعاً شاملا دالا على المعنى المراد أبلغ وأتم دلالة .

وبعـــد :

فهذا جهد المقل فإن أصبت فذلك من الله . وإن كانت الأخرى فحسبى أنى قرأت وفهمت بعضه وترجمت ما فهمته فى هذا البحث مستمداً من الله العون والتوفيق .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور / طه عبد الخالق عبد العزيز

معنى الترادف فى اللغة

من الردف وهو ما تبع الشيء ، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه ، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف ، وفى حديث بدر ، فأمدهم الله بألف من الملائكة مردفين ، أى متتابعين يردف بعضهم بعضاً .

وردف الرجل وأردفه : ركب خلفه ، وارتدفه خلفه على الدابة .

قال ابن سيدة : والردف [يعنى فى علمى العروض والقوافى] .

الألف والياء والواو التى قبل الروى[1] سمى بذلك لأنه ملحق فى التزامه . وتحمل مراعاته بالروى مجرى الردف للراكب[2] :

الترادف فى الاصطلاح :

عرفه أهل العربية والأصول بأنه « توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك فى الدلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة[3] .

إخراج محترزات التعريف :

خرج بقيد (لفظين) التأكيد اللفظى لعدم كون المؤكد — بالكسر — والمؤكد — بالفتح — لفظين مختلفين .

وبقيد الانفراد خرج التابع والمتبوع نحو عطشان بطشان لأن التابع قد لا يفيد وحده معنى .

---

(١) أى حرف مد ولين يكون قبل الروى ولا يفصل شيء بينهما .
(٢) لسان العرب لابن منظور مادة ردف ١٦٢٥/٣ طبعة دار المعارف .
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٥٧٨/٣ نشر مكتبة دار خياط / بيروت لبنان .

وبقيد أصل الوضع خرج الألفاظ الدالة على معنى واحد مجازاً ، والتى يدل بعضها مجازاً وبعضها حقيقة .

وبقيد وحدة المعنى خرج التوكيد المعنوى والمؤكد .

وبوحدة الجهة خرج الحد والمحدود .

قيل فلا حاجة إلى تقييد الألفاظ بالمفردة احترازاً عن الحد والمحدود وقد يقال أن ممثل قولنا الإنسان قاعد والبشر جالس قد توارد فى الدلالة على معنى واحد من جهة واحدة بحسب أصل الوضع استقلالا فإن سميا مترادفين فذلك وإلا احتيج إلى قيد الإفراد وهو الظاهر[1] .

الصلة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى :

العلاقة بينهما واضحة حيث إن ركوب الرجل خلف غيره سمى فى اللغة ترادفاً ، فهذا إطلاق الكلمة فى الأصل ثم نقلت إلى المعنى الاصطلاحى لأن الألفاظ قد تترادف على المعنى الواحد كما يترادف الراكبان على الدابة الواحدة .

يقول الجرجانى فى بيان تلك العلاقة المترادف ما كان معناه واحداً واسماؤه كثيرة ، وهو ضد المشترك أخذاً من الترادف الذى هو ركوب أحد خلف آخر كان المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه كالليث والأسد[2] .

ويشير صاحب تاج العروس نقلا عن الصاغانى إلى هذا المعنى مبيناً أن الترادف هو أن تكون أسماء لشيء واحد وهى مولدة ومشتقة من تراكب الأسماء[3] .

---

(١) المرجع السابق بتصرف .
(٢) التعريفات للجرجانى طبعة مصطفى البابى الحلبى ص ١٧٥ .
(٣) تاج العروس للزبيدى نشر دار ليبيا للتوزيع والنشر مادة ردف .

صلة اللفظة المفردة بالمعنى :

إما أن يتحد فيها اللفظ والمعنى ، وإما أن يتعدد اللفظ وكذلك المعنى ، وإما أن يتعدد اللفظ والمعنى واحد ، وإما أن يتحد اللفظ ويتعدد المعنى. فتنقسم هذه الصلة إلى أربع صور :

الأولى : تسمى المفردة : وهى ما اتحد فيها اللفظ والمعنى ، كلفظة « الله » فإنها واحدة ومدلولها واحد ، وسمى بهذا لإنفراد لفظه بمعناه .

الثانية : وتسمى المتباينة : وهى ما تتعدد فيها اللفظ والمعنى ، كالإنسان والفرس وغير ذلك من الألفاظ المختلفة الموضوعة لمعان مختلفة .

الثالثة : وتسمى المترادفة : وهى ما تعدد فيها اللفظ والمعنى واحد . مثل الليث والأسد لهذا الحيوان المعروف .

الرابعة : وتسمى المشتركة : وهى ما اتحد فيها اللفظ وتعدد المعنى كالعين فإنها تطلق على الجارحة كما فى قوله تعالى : « والعين بالعين »[1] وعين الماء ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً »[2] ونحو ذلك .

أهم المصنفات فى الترادف :

كثرت المصنفات فى هذا الباب ، وتنوعت بين الإجمال والتفصيل ومن ذلك :

---

(١) من الآية ٤٥ سورة المائدة .

(٢) من الآية ٦٠ سورة البقرة .

١ — ألف الأصمعى (توفى سنة ٢١٧ هـ) كتاباً سماه « ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه »[1] .

٢ — وألف ابن السكيت (توفى سنة ٢٤٤ هـ) كتاباً سماه « الألفاظ » وهو مرتب على أبواب المعانى[2] .

٣ — وألف عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى (توفى سنة ٣٢٧ هـ) كتابه الألفاظ الكتابية »[3] .

٤ — وألف ابن الأنبارى (توفى سنة ٣٢٧ هـ) كتابه « أقيسة الأديب فى أسماء الذيب » جمعها السيوطى فى كتاب سماه « التهذيب فى أسماء الذيب »[4] .

٥ — وألف قدامة بن جعفر (توفى سنة ٣٣٧ هـ) كتابه « جواهر الألفاظ »[5] .

---

(١) نشره مظفر سلطان بدمشق سنة ١٩٦٤ ، ونشره ماجد حسن الذهبى بتحقيقه وشرحه وتعليقه . طبعة دار الفكر بدمشق . الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(٢) طبع فى المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٨٥ م بعناية الأب لويس شيخو .

(٣) طبع فى بيروت سنة ١٩١١ م .

(٤) مخطوط بمكتبة الأزهر ضمن مجموعة خطية برقم (١١٢٢) مجاميع .

(٥) طبع بتحقيق الدكتور / محمد محيى الدين عبد الحميد . طبعة بيروت .

٦ — وألف على بن عيسى الرمانى (توفى سنة ٣٨٤ هـ) كتابه « الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى »[١] .

٧ — وألف ابن جنى (توفى سنة ٣٩٢ هـ) كتابه « الخصائص » وأفرد فيه باباً للمترادف سماه « باب فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى »[٢] .

٨ — وألف ابن سيده (توفى سنة ٤٥٨ هـ) كتابه « المخصص »[٣] ، وأورد فيه مايتعلق بالترادف فى المواد اللغوية .

٩ — وألف الفيروزآبادى كتاباً سماه « الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف »[٤] .

---

(١) طبع بتحقيق الدكتور / فتح الله صالح على المصرى طبعة دار الوفاء بالمنصورة .

(٢) تحقيق محمد على النجار ـ طبعة دار الهدى بيروت .

(٣) طبعة المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع .

(٤) ذكره الدكتور على عبد الواحد وافى من أهم مراجعه فى كتاب (فقه اللغة) ولم يشر إلى أنه مطبوع أو مخطوط . وأورد ذكره الإمام السيوطى فى المزهر ١/٤٠٧ .

آراء علماء اللغة فى وجود الترادف

اهتم العلماء من رواة اللغة وجامعيها بهذه القضية اللغوية فى وقت مبكر فجمعوا الألفاظ المختلفة الدالة على معنى واحد وذلك فى العام الثانى الهجرى .

يقول قطرب (محمد بن المستنير المتوفى سنة ٢٠٦ هـ) إنما أوقعت العرب اللفظين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم فى الكلام ، كما زاحفوا فى أجزاء الشعر ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم ، وإن مذاهبه لاتضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب اهـ[١] .

ويقول أبو زيد الأنصارى اللغوى (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) . قلت لأعرابى : ما المحبنطىء ؟ قال : المتكاكى ، قلت وما المتكاكى ؟ قال : المتآزف ، قلت : ما المتآزف ؟ قال : أنت أحمق . اهـ[٢] . لأنه سأم من مساءلته .

وسأل هارون الرشيد الأصمعى (المتوفى سنة ٢١٧ هـ) عن شعر لابن حزام العكلى ففسره ، فقال : يا أصمعى إن الغريب عندك لغير غريب ، قال : يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك ، وقد حفظت للحجر سبعين اسماً[٣] .

ولكن شهد القرن الثالث الهجرى وما تلاه خلافاً بين علماء اللغة فى

---

(١) المزهر للسيوطى تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ـ طبعة عيسى البابى الحلبى ١/٤٠٠ ـ ٤٠١ .

(٢) المرجع السابق ١/٤١٣ .

(٣) الصاحبى فى فقه اللغة لأحمد بن فارس ـ المكتبة السلفية ـ مطبعة المؤيد ص ٥ .

وجود الترادف ، فمنهم من ينكره ويلتمس فروقاً دقيقة بين معانى الكلمات المتقاربة مثل العلم والمعرفة ، والكمال والتمام ، وماشاكل ذلك[١] .

ومنهم ممن يعترف بوقوعه فى الألفاظ مثل : السرور والحبور والجذل والغبطة ، والبهج والفرح و . . .[٢] .

فعندنا مذهبان للعلماء فى هذا الباب .

المذهب الأول :

يذهب بعض العلماء إلى إنكار وجود الترادف التام فى اللغة العربية ، ويؤكد وجود معانى فارقة بين الألفاظ المترادفة . يقول التاج السبكى : ذهب بعض الناس إلى إنكار الترادف فى اللغة العربية وزعم أن كل مايظن من المترادفات فهو من المتباينات التى تتباين بالصفات ، كما فى الإنسان والبشر ، فإن الأول موضوع باعتبار النسيان أو باعتبار أنه يؤنس ، والثانى باعتبار أنه بادى البشرة . . . اهـ[٣] .

ومن هؤلاء ابن الأعرابى ، وثعلب ، وابن فارس ، وأبو هلال وغيرهم .

يقول ابن الأعرابى : كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد فى

(١) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى طبعة دار الآفاق - بيروت ص ٩ .

(٢) الألفاظ المترادفة للرمانى ص ٥١ .

(٣) الإبهاج فى شرح المنهاج لشيخ الإسلام على بن عبد الكافى السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، وولده تاج الدين السبكى المتوفى سنة ٧٧١هـ تحقيق الدكتور / شعبان محمد إسماعيل - نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٤٠ .

كل واحد منهما معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه ، وربما غمض علينا ، فلم نلزم العرب جهله اهـ[١] .

وذهب ثعلب إلى أن كل مايظن من المترادفات فهو من المتباينات التى تتباين بالصفات ، كما فى الإنسان والبشر[٢] .

ونسب إليه إنكاره الترادف تلميذه (ابن فارس) إلا أننا نجد ثعلب قد ذكر كثيراً من الكلمات المترادفة فى كتابه (مجالس ثعلب) ولم يبين رأيه فيها من حيث الاعتراف أو الإنكار[٣] .

ويقول ابن فارس : ويسمى الشىء الواحد بالأسماء الكثيرة نحو السيف والمهند والحسام ، والذى نقوله فى هذا أن الاسم واحد وهو السيف ومابعده صفات ، وكذلك الأفعال نحو : قعد وجلس ألا ترى أنا نقول قام ثم قعد ، ثم نقول كان مضطجعاً فجلس ، فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هى دون الجلوس ، وعلى هذا يجرى الباب كله وبهذا نقول وهو مذهب شيخنا ثعلب . اهـ[٤] .

ويقول أبو هلال العسكرى : الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعانى أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة ، وإذا أشير إلى الشىء مرة فعرف ، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة ، وواضع اللغة حكيم لايأتى فيها بما لايفيد . . . وكما لا يجوز أن

(١) الصاحبى ص ٦٥ .

(٢) المزهر ١/٤٠٣ وانظر الابهاج فى شرح المنهاج ١/٢٤٠ .

(٣) مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون - نشر دار المعارف ١/٧٧ ، وانظر فصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب طبعة عام ١٩٧٩ .

(٤) الصاحبى ص ١١٤ .

يدل اللفظ الواحد على معنين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد لأن فى ذلك تكثيراً للغة بما لا فائدة فيه . اهـ[1] .

المذهب الثانى :

يذهب الفريق الثانى من العلماء إلى وقوع الترادف فى اللغة العربية وعلى الرغم من وجود فروق بين الألفاظ فإنهم يطلقون عليها اسم الألفاظ المترادفة .

ومن هؤلاء .

الأصمعى : ألف كتابة (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه)[2] .

جمع فيه بين المترادفات من الألفاظ ولم يقسم الكتاب أبواباً . بل كان ينتقل فيه من أسماء مترادفة إلى أفعال مترادفة وبالعكس . ومن صفات تتعلق بالإنسان ألى أخرى تتعلق بالحيوان ، ومن أسماء تدل على الحسن إلى أخرى تدل على القبح .

وقدامة بن جعفر ألف كتابه (جواهر الألفاظ) وقال فى مقدمته : « هذا كتاب يشتمل على ألفاظ مختلفة تدل على معان متفقة »[3] .

وكان أبو على الفارسى يستحسن هذا الموضع جداً وينبه عليه ويسر بما يحضره خاطره منه[4] .

وأفرد ابن جنى فى « الخصائص » باباً سماه « باب فى تلاقى المعانى على

(١) الفروق فى اللغة ص ١٣ ، ١٤ .
(٢) سبق ذكره فى (أهم المصنفات فى الترادف) .
(٣) جواهر الألفاظ ص ٢ .
(٤) الخصائص ٢ / ١٣٣ .

اختلاف الأصول والمبانى » وصدره بقوله : هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة قوى الدلالة على شرف هذه اللغة وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة ، فتبحث عن أصل كل اسم منها ، فتجده مفضى المعنى إلى معنى صاحبه[1] .

وألف أبو الحسن الرمانى رسالته فى الترادف وتشتمل على مائة واثنين وأربعين فصلا ، كل فصل يندرج تحته عدد من الألفاظ المتعددة ذات المعنى الواحد ، أى الألفاظ المترادفة[2] .

وألف ابن سيده كتابه « المخصص » وقال فى مقدمته : وكذلك أقول على الأسماء المترادفة التى لا يكثر بها نوع ، ولا يحدث عن كثرتها طبع ، كقولنا فى الحجارة . حجر وصفاة ونقلة .

وفى الطريق : طويل وسلب وشرحب[3] .

ومن علماء الأصول الذين ذهبوا إلى هذا الرأى الإمام الفخر الرازى وعرف الترادف بأنه (الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد) وأنكر على الاشتقاقيين تعسفهم فى دفع ذلك بتلمسهم المعانى الفارقة بين الألفاظ[4] .

وتابعه فى ذلك التاج السبكى فى (شرح المنهاج) فنعت منكرى الترادف فى اللغة بالتكلف فى إظهار الفرق بين الكلمات المترادفة زاعمين أنها من المتباينات التى تتباين بالصفات كما فى الأنسان والبشر[5] .

(١) الخصائص ٢ / ١٣٣ .
(٢) سبق ذكرها فى « أهم المصنفات فى التزادف » .
(٣) المخصص ١ / ٣ .
(٤) المحصول فى علم أصول الفقه طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١ / ٩٣ .
(٥) انظر الأبهاج شرح المنهاج ١ / ٢٤٠ .

ويحتج هذا الفريق على وقوع الترادف بقوله : (لو كان لكل لفظه معنى خاص غير معنى مرادفها لما أمكن أن يعبر عن الشيء بغير عبارته ، ويقولون إننا نقول فى (لاريب فيه) لاشك فيه ، فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ ، فلما عبر بهذا عن هذا دل على أن المعنى واحد ، والشاعر يأتى بالاسمين المترادفين للمعنى الواحد فى مكان واحد تأكيداً ومبالغة كقول الحطيئة : وهند أتى من دونها النأى والبعد . والنأى هو البعد [1] .

وبعد بيان أراء العلماء فى وقع الترادف فى اللغة فإنى أحرر محل النزاع بين الفريقين .

تحرير محل النزاع :

الترادف إما أن يرجع إلى اختلاف اللهجات فى اللغة الواحدة ، وإما أن يرجع إلى الاختلاف فى اللهجة الواحدة .

أما الأول : كأن تضع إحدى القبائل إسماً لمعنى معين ، وتضع الثانية اسما آخر لهذا المسمى من غير أن تعلم أحداهما بالأخرى .

يقول ابن جنى : « كلما كثرت الألفاظ على معنى واحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات اجتمعت لإنسان من هنا وهناك » أ . هـ [2] .

ويقول الأصفهانى : « وينبغى أن يحمل كلام من منع الترادف على منعه فى لغة واحدة ، فأما فى لغتين فلا ينكره عاقل » . أ . هـ [3] .

ونص عليه أبو هلال العسكرى — وهو من منكرى الترادف — فقال:

(١) المزهر ١ / ٣٠٤ .
(٢) الخصائص ١ / ٣٧٤ .
(٣) المزهر ١ / ٤٠٥ — ٤٠٦ .

ولا يجوز أن يكون « فعل و « أفعل » بمعنى واحد كما لا يكونان على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك فى لغتين فأما فى لغة واحدة فمحال ..... فقولك : سقيت الرجل يفيد أنك أعطيته ما يشربه أو صببت ذلك فى حلقه . وأسقيته يفيد أنك جعلت له سقياً أو حظاً من الماء .

وقولك شرقت الشمس يفيد خلاف غربت ، وأشرقت يفيد أنها صارت ذات إشراق ، ورعدت السماء أتت برعد ، وأرعدت صارت ذات رعد . أ . هـ [1] .

أما النوع الثانى : وقوع الترادف فى اللهجة ، وهـذا هو موضع الخلاف . والمراد بالترادف عند المنكرين له هو : الترادف التام بين لفظ وآخر بحيث يؤدى كل لفظ جميع معنى اللفظ الآخر .

يقول الإمام الرازى : والكلام معهم — أى مع منكرى الترادف — إما فى الجواز وهو معلوم بالضرورة ، أو فى الوقوع ، وهو إما فى لغتين ، وهو أيضاً معلوم بالضرورة ، أوفى لغة واحدة ، وهو مثل الأسد والليث ، والحنطة والقمح ، والتعسفات التى يذكرها الاشتقاقيون فى دفع ذلك ، مما لا يشهد بصحتها عقل ولا نقل : فوجب تركها عليهم أ.هـ.[2]

وهذا ابن فارس — مع إنكاره الترادف التام — يعد الترادف من خصائص اللغة العربية فيقول : وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية ، فهذا غلط ، لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا إلا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء

(١) الفروق ص ١٥ .
(٢) المحصول ١ / ٩٣ — ٩٤ .

المترادفة ، فأين هذا من ذاك وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العربية . أ . هـ .[1] .

ثم صرح بأن الشيء الواحد في اللغة العربية قد يسمى بأسماء متعددة ، إلا أنه عند التأمل الدقيق نجد أن له اسماً واحداً ، أما بقية الأسماء في الأصل صفات له يقول : يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام . والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد ، وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات .

ومذهبنا أن كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى ... وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب[1] .

فنراه قد فرق بين ما هو موصوف وما هو وصف . ولكن قد يتساهل في عد ما هو من قبيل الأوصاف وينظمها في سلك الأسماء ، فيعدونها من المترادف .

فالتقارب في المعنى بين لفظ وأخر لا ينكرونه ، ومن ثم يقول أبو هلال العسكري معترفاً بالتقارب بين الألفاظ .

ثم إني ما رأيت نوعاً من العلوم ، وفناً من الآداب ، إلا وقد صنفت فيه كتب تجمع أطرافه ، وتنظم أصنافه ، إلا الكلام في الفروق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها ، نحو : العلم والمعرفة ، والفطنة والذكاء ، والإرادة والمشيئة ، والغضب والسخط ، أ . هـ[2] .

(١) الصاحبي ص ١٧ .
(٢) المزهر ١/٤٠٤
(٣) الفروق ص ٧

فهؤلاء لا ينفون وجود تقارب بين الألفاظ في المعنى ولكن ينفون التطابق التام بين الألفاظ المترادفة .

هذا موقف الفريق الأول .

أما الفريق الثاني فإن الناظر في مؤلفاتهم يجد أنها قد حوت ألفاظاً مفردة وأخرى مركبة .

وإليك نماذج من ذلك :

١ — معاد ، مكرر ، مردد ، مثنى[1] .

٢ — يقول الرماني : فصل (غرة الشباب ، وشرخه) .

هو في غرة شبابه ، وشرخه ، وغضارته ، وبهجته ، ورفاعته[2] .

وهذه الألفاظ تكون مفردة كما في النموذج رقم (١) .

أو مركبة كما في النموذج (٢) .

والألفاظ المفردة المترادفة لها أحوال :

الأول : أن يقصد المتكلم به عند تعداد المفردات حيث لا إعراب ولا بناء كقوله : أسد ، عين ، حنطة ، فهو مخير في النطق بأي اللفظين شاء بلا إشكال من ليث أو مقله أو بر .

الثاني : أن يتكلم زيد بالمفرد ، فيريد أن يحكيه فيقول : قال زيد : أسد ، ويكون إنما قال : ليث .

الثالث أن يأمرك زيد بأن تقول : ليث ، فتقول : أسد فهاتان الصورتان من قسم المفرد ، وللنزاع فيهما مجال عند تعين حكاية اللفظ

(١) الألفاظ المترادفة للرماني ص ٨٠ ، وانظر جواهر الألفاظ ص ٣٨٠
(٢) الألفاظ المترادفة ص ٥٨

ولا سيما أن منعنا النقل بالمعنى، ويحتمل الجواز بمرادفه، لأن ذلك لعله خاص بحكاية كلامه ﷺ، وكذلك فى صورة الأمر يحتمل الامتثال بالمرادف وإلا قد صرح الفقهاء فيما إذا قال القاضى له: قل: بالله، فقال: بالرحمن أنه لا يكون نكولا، وفى المكره لو قال له: قل أنت طالق فقال: بائن، إنه يكون اختياراً، وحينئذ فإطلاق الإجماع على المفرد ممنوع.

أما الألفاظ المركبة فلها أحوال أيضاً:

الأول: أن يقصد المتكلم النطق فينطق كيف شاء، وليس ذلك موضوع المسألة.

الثانى: أن يكون حكاية ويبدل بألفاظ المتكلم كلها ألفاظاً من غير لغته فهو جائز بالإجماع كما قاله ابن الحاجب فى باب الأخبار[1].

الثالث: أن يبدل كلها بألفاظ مترادفة من لغتها مثل أن يقال: حضر الأسد. فيقال: قال زيد: جاء الليث.

واستظهر بدر الدين الزركشى أن يكون هذا ليس محل النزاع لأن صاحب «المحصول» ممن اختار أنه لا يقام أحد المترادفين مقام الآخر مع جزمه بجواز الرواية بالمعنى بغير المترادف فضلا عن المترادف[2].

الرابع: أن يكون فى امتثال الأمر، كأن يقول زيد: قل: جاء الأسد، فيقول: حضر الليث، أو يعبر عنه بالعجمية، فيحتمل المنع، لاحتمال أن المقصود اللفظ، ويحتمل الجواز إلا حيث تعبدنا باللفظ، كتكبيرة الإحرام وغيرها.

---

(١) انظر حاشية الشريف الجرجانى المتوفى ٨١٦هـ على شرح عضد الدين والملة المتوفى ٧٥٦هـ لمختصر ابن المنتهى الأصولى لابن الحاجب المتوفى ٦٤٦هـ طبعة ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١/١٣٧، ١٣٨

المحصول ١/٩٥

الخامس: أن يبدل بعض ألفاظ المركب دون بعض كأن يقول: حضر الأسد مكان حضر الليث وكذلك «خداى أكبر» فى غير الصلاة، فهذا موضع النزاع. هذا كلام الأصوليين[1].

فعلة المنع قاصرة على ترجمة بعض المركب لا كله، أما تبديل ألفاظ المتكلم كلها ألفاظاً من غير لغته فلا شك فى جوازه.

ونقل ابن الحاجب فيه الإجماع[2].

هذا وعد المثبتون للترادف ألفاظاً مترادفة مع أنها ليست كذلك، وعلى سبيل المثال: أهانى وأشجانى[3].

ومعنى أهانى: استخف بى، تقول: أهانه وهونه واستهان به وتهاون به: استخف به[4].

ومعنى أشجانى: أحزننى، إذ الشجن: الهم والحزن، وشجنته الحاجة تشجنه شجناً: حبسته[5]، فاللفظان مختلفان كما بينت اللغة.

ومن ذلك: الكذب والخرص والزور والإفك[6].

---

(١) انظر البحر المحيط لبدر الدين الزركشى تحقيق لجنة من علماء الأزهر طبعة دار الكتبى بالقاهرة — الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م ٢/٣٦٤ — ٣٦٥

(٢) شرح العضد ١/١٣٨

(٣) الألفاظ المترادفة للرمانى ص ٥٠

(٤) لسان العرب مادة هون

(٥) المرجع السابق مادة شجا

(٦) الألفاظ المترادفة للرمانى ص ٥٥

فعدوا تلك الألفاظ على معنى واحد دون ملاحظة خصائص كل لفظ بمفرده ، ولكن بالنظر إلى معناها فى اللغة بعد أن كل واحد منها له دلالته التى تميزه عن غيره .

فالكذب : هو عدم مطابقة الخبر للواقع .

وهو نقيض الصدق[1] .

والخرص : أصله التظنى فيما لا تستيقنه ، ومنه خرص النخل والكرم إذا حزرت التمر ، لأن الحزر إنما هو تقدير بظن لا إحاطة[2] .

فالخرص عدم مطابقة الحقيقة قائم على الظن .

أما الكذب : فإنه قائم على القطع والتحقيق .

ويعرف الراغب الخرص بأنه : كل قول مقول عن ظن وتخمين . يقال خرص سواء كان مطابقاً للشيء أو مخالفاً من حيث إن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلب ظن ولا سماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص فى خرصه[3] .

والزور : هو تزيين الكلام وإتقانه والانحراف به عن الحق .

وهو من : الميل والعدول عن الشيء .

يقولون : عنق أزور : مائل .

أو من قولهم : ناقة زورة قوية غليظة .

وقال أبو عبيدة فى قولهم ليس لهم زور ؛ أى ليس لهم قوة ولا رأى .

أو من قولهم : كلام مزور أى محسن .

فالتزوير : تحسين الكلام وزخرفته .

---

(١) لسان العرب مادة كذب ، التعريفات للجرجانى ص ١٦١

(٢) انظر لسان العرب مادة خرص

(٣) المفردات طبعة دار الفكر ص ١٤٦ مادة خرص

قال نصر بن سيار :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة : تزورتها من محكمات الرسائل[1] .

فالمزور يميل بكلامه عن الحق مع تزيينه ترويجاً للباطل مع تقويته واتقانه حتى يؤثر فى المخاطب .

والإفك : هو كذب يصرف الشيء عن وجهة الذى يجب أى يكون عليه .

فالهمزة والفاء والكاف أصل واحد يدل على قلب الشيء وصرفه عن وجهه[2] .

فالأفاك يقلب الأوضاع ويغير الحقائق ، فيرمى غيره بما هو منه برىء فيثبت باطلا كمحاولة المنافقين إثبات الباطل على أم المؤمنين عائشة فيجعلونها موضع اتهام مع أنها أهل الطهر والعفاف .

أو يقلب الحق باطلا . ومنه قوله تعالى : «قاتلهم الله أنى يؤفكون»[3] .

يقول أبو هلال العسكرى : الفرق بين الكذب والإفك أن الكذب اسم موضوع للخبر الذى لا مخبر له على ما هو به ، وأصله فى العربية التقصير ، ومنه قولهم : كذب عن قرنه فى الحرب إذا ترك الحملة عليه ، وسواء كان الكذب فاحش القبح أو غير فاحش ، والإفك هو الكذب الفاحش القبح مثل الكذب على الله ورسوله أو على القرآن ومثل قذف المحصنة وغير ذلك مما يفحش قبحه وجاء فى القرآن على هذا الوجه قال تعالى «ويل لكل أفاك أثيم»[4] ، وقوله تعالى : «إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم»[5] ...أ. هـ[6] .

---

(١) لسان العرب مادة زور

(٢) معجم مقاييس اللغه لابن فارس طبعة مصطفى الحلبى مادة أفك

(٣) سورة التوبة من الآية ٣٠

(٤) سورة الجاثية آية ٧ (٥) سورة النور من آية ١١

(٦) الفروق ص ٣٧

وبهذا يتبين لنا أن الألفاظ المترادفة عند القائلين بالترادف إنما هي متقاربة فى المعانى العامة ولكل لفظ معناه الخاص ودلالته الفارقة عن غيره.

أما ما احتجوا به من قولهم: «لو كان لكل لفظة معنى خاص غير معنى مرادفها لما أمكن أن يعبر عن الشيء بغير عبارته ... إلخ.

فهو قول غير دقيق ولا محصله له عند التحقيق «لأن تفسير (الريب) بالشك لا يعنى أنهما متطابقان فى المعنى، ولكنه تفسير بالمعنى المتقارب ولكل من اللفظين معناه الخاص به الذى ينفرد به عن الآخر.

فالشك فى اللغة: نقيض اليقين، وجمعه شكوك، وكل شيء أدخلت فى شيء فقد شككته.

فالشين والكاف أصل يدل على التداخل، ومن هذا الباب الشك.

وسمى الشك بذلك، لأن الشاك كأنه شك له الأمران فى مشك واحد.

ويقال: شك القوم بيوتهم يشكونها شكا إذا جعلوها على طريقة واحدة ونظم واحد، وهى الشكاك للبيوت المصطفة[1].

فمعنى الشك يدور حول التداخل بين الشيئين مع عدم التمييز بينهما.

أما الريب فمعناه أن تتوهم بالشيء أمراً ما فينكشف عما تتوهمه[2].

تقول: أراب الرجل يريب إذا جاء بتهمة.

وارتبت فلاناً أى اتهمته.

فالريب شك مع تهمة.

أما الشك فهو التردد بين النقيضين من غير ترجيح أحدهما على الآخر.

---

(١) لسان العرب مادة شك ومعجم مقاييس اللغة مادة شك

(٢) مفردات القرآن مادة ريب

وهذا يدل على أن الشك غير الريب.

ومما يؤكد الفرق بينهما اتيان الريب صفة للشك فى القرآن الكريم قال تعالى: «وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب»[1] وقوله: «إنهم كانوا فى شك مريب»[2].

وبعد. فإنه يتضح لى بعد تحرير الخلاف بين الفريقين أن الخلاف بينهما لفظى، فالذين يقولون بالترادف ينظرون إلى تقارب الألفاظ فى المعنى العام مع وجود فارق بينهما.

والذين ينكرون الترادف إنما ينكرون التساوى التام بين اللفظين فى المعنى.

فالخلاف ليس وارداً على شيء واحد.

بل هما فى النهاية متفقان على وجود اشتراك بين اللفظين من جهة وانفصال من جهة أخرى.

---

(١) سورة هود من الآية ٦٢

(٢) سورة سبأ من الآية ٥٤

فوائد الترادف فى اللغة

للترادف فوائد كثيرة ذكرها العلماء منها:

١ — إتاحة الفرصة لاختيار الأخف والأفصح والأنسب، يقول التاج السبكى: فإنه ربما نسى أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به، وقد كان بعض الأذكياء فى الزمن السالف ألثغ فلم يحفظ عليه أنه نطق بحرف الراء، ولولا المترادفات تعينه على ما قصده لما قدر على ذلك. أهـ[1].

مثل النأى والبعد، فالنأى ثقيل وهو مصدر. فلذلك لم يستعمل فى القرآن مصدراً إلا البعد بخلافه فعلا، قال تعالى: «أعرض ونأى بجانبه»[2] وكذلك الرجع مصدراً أخف من الحور، ويحور مضارعاً أخف من يرجع، وقال تعالى: «إنه على رجعه لقادر»[3] «إنه ظن أن لن يحور»[4].

٢ — إثراء اللغة العربية بكثير مفرداتها، ومدها إلى آفاق متسعة الإنحاء فتغنى بحاجة البلغاء فى سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة فى الشعر والنثر وذلك (لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله

(١) شرح المنهاج ٢٤١/١

(٢) جزء من آية ٨٣ سورة الإسراء ومن ٥١ آية سورة فصلت.

(٣) سورة الطارق آية ٨

(٤) سورة الإنشقاق آية ١٤، وانظر ما سبق فى مبحث المترادف و اللغة العربية لفضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور / مجلة مجمع اللغة العربية ٤ / ٢٦٥

مع لفظ آخر السجع والقافية أو التجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفة مع ذلك اللفظ»[1].

مثاله: أن لفظ دابة لو يكن له مرادف لتعذر التعبير به فى الشعر لأنه يشتمل على ساكنين متواليين حصل أحدهما بالإدغام والآخر بالأصالة، إذ لا يجتمع فى الشعر العربى حرفان ساكنان، إذ أوزان الشعر كلها مركبة من أسباب وأوتاد، فالسبب هو حرف ثان موال للحرف المتحرك المبتدأ به فى النطق، فان كان الحرف الثانى متحركا فالسبب سبب ثقيل نحو (فع) وإن كان الحرف الثانى ساكنا فالسبب خفيف نحو (فع) ثم يتركب من الأسباب أوتاد، وهى الحروف اللاحقة للأسباب نحو فعل وفعل، فإن كان قبل الوتد سبب ثقيل سمى وتدا مجموعاً نحو فعل وإن كان قبل الوتد سبب خفيف سمى وتدا مفروقاً نحو (فعل) ومن الأسباب والأوتاد تتكون تفاعيل العروض، فلا يصح بحال وقوع كلمة فى الشعر تشتمل على ساكنين متواليين نحو دابة والضالين، فلولا وجود الترادف لتعذر التعبير عن مدلول مثل هذين اللفظين فى الشعر[2].

٣ — تجنب الإعادة والتكرار، فهم قوم يكرهون هذا إلا فى مقامات قليلة تسمح بذلك، (وفى المترادف عون على تجنب إعادة

(١) شرح المنهاج ٢٤١/١

(٢) المترادف فى اللغة العربية لفضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مجلة مجمع اللغة العربية ٢٦٥/٤

اللفظة إذا اقتضى الحال إعادة الحديث عن مدلولها ، وهذا من أسباب التعبير فى القرآن بلفظ فى موضع وبغيره فى موضع آخر مثله ، وإن بعض علماء البلاغة قد يتكلفون لإبداء التعليل فى وجه ذلك الاختلاف ولا يعرجون على أنه قد يكون لمجرد قصد التفنن . قال تعالى : « قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع . . . . . »[1] إلى آخر الآية .

فعدى « يهدى » مرة بإلى ، ومرة باللام ، كراهية تكرير التعدية باللام ثلاث مرات[2] .

وذهب الألوسى إلى أنه جمع بين (إلى) و (اللام) تفننا وإشارة بإلى إلى معنى الانتهاء وباللام للدلالة على أن المنتهى غاية للهداية ، وأنها لم تتوجه إليه على سبيل الاتفاق بل على قصد من الفعل وجعله ثمرة له ولذلك عدى به ما أسند إليه سبحانه ، وأما قوله تعالى : « أفمن يهدى إلى الحق » فالمقصود به التعميم وإن كان الفاعل فى الواقع هو الله جل شأنه[3] .

فالتكرير ليس المقصود به التفنن فقط ، وهنا التعدية باللام أبلغ من (إلى) لأن الله تعالى يهدى لذات الحق لا لمجرد الطريق الذى يؤدى إليه باعتبار أن (إلى) للانتهاء .

---

(١) سورة يونس آية ٣٥

(٢) المترادف فى اللغة العربية للشيخ ابن عاشور ٤/٢٦٥—٢٦٦

(٣) انظر روح المعانى للعلامة الألوسى . طبعة دار الفكر — بيروت ١١/١١٤

وقد قرر القرآن اللفظ الواحد أربع مرات فى الآية الواحدة ولم ينظر إلى التفنن لأن له قصداً أكبر كترسيخ العقيدة مثلا كما فى قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير »[1] .

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦

الترادف فى القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين، قال تعالى: « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين »[1].

وانتقى من لغة العرب أسمى ما فى لسانها وأساليبها فكان على نسق بديع محكم خارج عن المعروف من نظم كلامهم، مباين للمألوف من أساليبهم، فكان غاية السمو فى البلاغة حتى عجز الثقلان عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

ومرد البلاغة فى الكلام غاية الدقة فى المطابقة بين اللفظ والمعنى - الجانبان متوافقان متطابقان تمام التوافق والتطابق فى القرآن الكريم.

وإذا كان علماء اللغة قد اختلفوا فى وقوع الترادف فى اللغة العربية فما موقف العلماء منه فى القرآن الكريم؟

أقول: كما ذهب الكثير من العلماء إلى نفى الترادف فى اللغة، نفوه أيضاً فى القرآن الكريم.

وذهب البعض إلى الاعتراف بوقوعه فى اللغة بيد أن منهم من أنكر وقوعه فى القرآن الكريم، ومنهم من اعترف بوقوعه.

فعندنا ثلاثة آراء:

الرأى الأول:

ذهب أصحاب هذا الرأى إلى نفى الترادف فى القرآن الكريم منهم:

(١) سورة الشعراء آية ١٩٣ — ١٩٥

الخطابى وأبو هلال العسكرى والباقلانى والراغب الأصفهانى وابن تيمية والرافعى وغيرهم.

ذهب الخطابى إلى أن عمود البلاغة هو وضع كل نوع من الألفاظ التى تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذى إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبديل المعنى الذى يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة؛ ذلك أن فى الكلام ألفاظ متقاربة فى المعانى يحسب أكثر الناس أنها متساوية فى إفادة بيان مراد الخطاب؛ كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنعت والصفة، وكقولك: اقعد واجلس.....

والأمر فيها وفى ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها فى بعض معانيها وإن كانتا قد تشتركان فى بعضها. تقول: عرفت الشىء وعلمته إذا أردت الإثبات الذى يرتفع معه الجهل، إلا أن قولك: عرفت. يقتضى مفعولا واحداً كقولك عرفت زيداً، وعلمت يقتضى مفعولين. كقولك: علمت زيداً عاقلا، ولذلك صارت المعرفة تستعمل خصوصاً فى توحيد الله تعالى وإثبات ذاته. فتقول: عرفت الله، ولا تقول علمت الله، إلا أن تضيف إليه صفة من الصفات فتقول: علمت الله عدلا، وعلمته قادراً، ونحو ذلك من الصفات، وحقيقة البيان فى هذا أن العلم ضده الجهل، والمعرفة ضدها النكرة.

ثم ساق الخطابى بعض الأمثلة للألفاظ المتقاربة مبيناً الفرق بينها، مظهراً إعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التى يتركب الكلام منها،

دون ما يتضمنه من معانيه ونظم تأليفه[1] .

وذهب أبو هلال العسكرى إلى نفى الترادف فى اللغة والقرآن الكريم ، وذكرت رأية عند الحديث عن وقوع الترادف فى اللغة[2] ونراه قد فرق بين ألفاظ متقاربة فى المعنى ، مثل الكذب والخرص والإفك . . . وألف كتاباً سماه (الفروق).

ويقول أبو بكر الباقلانى: وجه الوقوف على شرف الكلام: أن تتأمل موقع قوله : « وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه »[3] وهل تقع فى الحسن موقع قوله : « ليأخذوه » كلمة ؟ وهل تقوم مقامه فى الجزالة لفظة ؟ وهل يسد مسده فى الأصالة نكتة ؟ لو وضع موضع ذلك « ليقتلوه » أو « ليرجموه » أو « لينفوه » ، أو « ليطردوه » أو « ليهلكوه » ، أو « ليذلوه » ونحو هذا ، ما كان ذلك بديعاً ولا بارعاً ولا بالغاً . فانقد موضع هذه الكلمة . وتعلم بها ما تهذب إليه من تخير الكلام ، وانتقاء الألفاظ ، والاهتداء للمعانى .

فإن كنت تقدر أن شيئاً من هذه الكلمات التى عددناها عليك أو غيرها ، يقوم مقام هذه اللفظة — لم تقف على غرضنا من هذا الكتاب ، فلا سبيل لك إلى الوقوف على تصاريف الخطاب ، فافزع إلى التقليد ، وأكف نفسك مؤنة التفكير .

---

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن الكريم للرمانى والخطابى وعبد القاهر الجرجانى . تحقيق محمد خلف الله أحمد ودكتور محمد زغلول سلام طبعة دار المعارف . ص ٢٩ — ٣٠

(٢) انظر ص ١٥ من هذا البحث .

(٣) سورة غافر من الآية ٥

وإن فطنت ، فانظر إلى ما قال من رد عجز الخطاب إلى صدره ، بقوله « فأخذتهم فكيف كان عقاب »[1] ثم ذكر عقيبها العذاب فى الآخرة ، وأتلاها تلو العذاب فى الدنيا ، على الإحكام الذى رأيت .

ثم ذكر المؤمنين بالقرآن بعد ذكر المكذبين بالآيات والرسل ، فقال : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به »[2] إلى أن ذكر ثلاث آيات .

وهذا كلام مفصول ، تعلم عجيب اتصاله بما سبق ومضى ، وانتسابه إلى ما تقدم وانقضى ، وعظم موقعه فى معناه ، ورفيع ما يتضمن من تحميدهم وتسبيحهم ، وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله : « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً »[3] .

هل تعرف شرف هذه الكلمة لفظاً ومعنى ، ولطيف هذه الحكاية ، وتلاؤم هذا الكلام ، وتشاكل هذا النظم ؟ فكيف يهتدى إلى وضع هذه المعانى بشرى ، وإلى تركيب ما يلائمها من الألفاظ إنسى ؟[4] .

فدقة اختيار اللفظ فى موضعه يحمل قوى كامنة من المعانى تتفجر بمجرد نطقها لا يفى بها غيره من الألفاظ .

---

(١) سورة غافر من الآية ٥

(٢) « « « « ٧

(٣) المرجع السابق .

(٤) إعجاز القرآن للباقلانى أبى بكر محمد بن الطيب تحقيق السيد أحمد صقر طبعة دار المعارف . الطبعة الخامسة ص ١٩٧ — ١٩٨

وقال الراغب الأصفهانى فى مقدمه كتابه (مفردات ألفاظ القرآن الكريم) : وأتبع هذا الكتاب — إن شاء الله تعالى ونسأ فى الأجل — بكتاب ينبىء عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة ، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته ، نحو ذكر القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة ، ونحو ذكره تعالى فى عقب قصة : « إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون »[1] وفى أخرى : « لقوم يتفكرون »[2] وفى أخرى : « لقوم يعلمون »[3] وفى أخرى : « لقوم يفقهون »[4] .

وفى أخرى : « لأولى الأبصار »[5] وفى أخرى : « لذى حجر »[6] وفى أخرى : « لأولى النهى »[7] ونحو ذلك مما يعده من لا يحق الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد ، فيقدر أنه إذا فسر (الحمد لله) بقوله الشكر لله ، و « لا ريب فيه »[8] بلا شك فيه فقد فسر القرآن ووفاه التبيان . أهـ[9] .

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٩٩ ، وسورة النحل آية ٧٩

(٢) سورة الرعد من الآية ٩٩ ، وسورة النحل من الآية ١١ و ٦٩

(٣) سورة الأعراف من الآية ٣٢ ، وسورة النمل من الآية ٥٢

(٤) سورة الأنعام من الآية ٩٨

(٥) سورة آل عمران من الآية ١٣

(٦) سورة الفجر من الآية ٥

(٧) سورة طه من الآية ٥٤ ، ١٢٨

(٨) سورة البقرة من الآية ٢

(٩) مقدمة مفردات القرآن للراغب الأصفهانى .

ويقول ابن تيمية : « ومن الأقوال الموجودة عنهم[1] ويجعلها بعض الناس اختلافا[2] أن يعبروا عن المعانى بألفاظ متقاربة لا مترادفة ، فان الترادف فى اللغة قليل ، وأما فى ألفاظ القرآن فاما نادر وإما معدوم وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدى جميع معناه ، بل يكون فيه تقريب لمعناه وهذا من أسباب إعجاز القرآن ، فاذا قال القائل : « يوم تمور السماء موراً »[3] إن المور هو الحركة كان تقريباً إذ المور حركة خفيفة سريعه ، وكذلك إذا قال « الوحى » الإعلام . أو قيل « أوحينا إليك »[4] أنزلنا إليك ، أو قيل : « وقضينا إلى بنى إسرائيل »[5] أى أعلمنا ، وأمثال ذلك ، فهذا كله تقريب لا تحقيق ، فإن الوحى هو إعلام سريع خفى ، والقضاء عليهم أخص من الإعلام ، فان فيه إنزالا إليهم وإيحاءاً إليهم . . . . . أهـ[6] .

فيرى ابن تيمية أن الترادف بين ألفاظ القرآن لا يكاد يوجد ، أما تقارب الألفاظ حول المعنى العام فإنه لا ينكره .

---

(١) أى المفسرين من السلف.

(٢) أى مع أنها ليست اختلافا فى التفسير .

(٣) سورة الطور آية ٩

(٤) سورة النساء من الآية ١٦٣

(٥) سورة الإسراء من الآية ٤

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية جمع عبد الرحمن بن قاسم الحنبلى ، طبعة المختار الإسلامى ، مقدمة التفسير ١٣/٣٤١ ، ٣٤٢ ، وانظر مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية طبعة المكتبة السلفية ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧

ويقول الأستاذ الرافعى لا جرم أن المعنى الواحد يعبر عنه بألفاظ لا يجزى واحد منها فى موضعه عن الآخر إن أريد شرط الفصاحة لأن لكل لفظ صوتاً ربما أشبه موقعه من الكلام ومن طبيعة المعنى الذى هو فيه، والذى تساق له الجملة، وربما اختلف وكان بغير ذلك أشبه.

فلابد فى مثل نظم القرآن من إخطار معانى الجمل وانتزاع جملة مايلائمها من ألفاظ اللغة، بحيث لا تند لفظة، ولا تتخلف كلمة، ثم استعمال أمسها رحماً بالمعنى، وأفصحها فى الدلالة عليه، وأبلغها فى التصوير، وأحسنها فى النسق، وأبدعها سناءً، وأكثرها غناءً، وأصفاها رونقاً وماءً، ثم اطراد ذلك فى جملة القرآن على اتساعه وما تضمن من أنواع الدلالة ووجوه التأويل ثم إحكامه على أن لامراجعة فيه ولاتسامح، وعلى العصمة من السهو والخطأ فى الكلمة وفى الحرف من الكلمة، حتى يجىء ماهو كأنه صيغ جملة واحدة فى نفس واحد وقد أديرت معانيها على ألفاظ فى لغات العرب المختلفة فلبستها مرة واحدة. وذلك ولا ريب مما يفوت كل فوت فى الصناعة، ولا يدعيه من الخلق فرد ولا جماعة.

ثم ذكر أن ألفاظ القرآن صارت بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة، فإن أحداً من البلغاء لاتمتنع عليه فصح هذه العربية متى أرادها، وهى بعد فى الدواوين والكتب، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن فى كلامه، وإن اتفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها، لأنها فى القرآن تظهر فى تركيب ممتنع فترف به، ولهذا ترتفع إلى أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التى هى طبيعة فيها فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية فى اللغة.

وفى القرآن الكريم لفظة غريبة هى من أغرب ما فيه، وما حسنت فى كلام قط إلا فى موقعها منه، وهى كلمة «ضيزى» من قوله تعالى:

«تلك إذن قسمة ضيزى»[1] ومع ذلك فإن حسنها فى نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أردت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التى هى منها وهى سورة النجم مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هى فى معرض الإنكار على العرب، إذ وردت فى ذكر الأصنام وزعمهم فى قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع أولادهم البنات[2] فقال تعالى: «ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذن قسمة ضيزى» فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملائمة لغرابة هذه القسمة التى أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصور فى هيئة النطق بها الإنكار فى الأولى والتهكم فى الأخرى وكان هذا التصوير أبلغ ما فى البلاغة، وخاصة فى اللفظة الغريبة التى تمكنت فى موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم فى إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها وإلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية.

والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام، وله نظائر فى لغتهم، وكم من لغظة غريبة عندهم لا تحسن إلا فى موضعها، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذى سبقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكأن فى تأليف حروفها معنى حسياً وفى تآلف أصواتها معنى مثله فى النفس...

وأن تعجب فأعجب لنظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه على ما قبلها، إذ هى مقطعان أحدهما مد ثقيل، والآخر مد خفيف وقد جاءت عقب غنتين فى «إذن» و«قسمة» وإحداهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيله

(١) سورة النجم آية ٢٢. يقال ضازكمنع بمعنى جار، وضاز فلاناً حقه بخسه ونقصه، وقسمة ضيزى ناقصة جائرة القاموس المحيط باب الزاى فصل الضاد ١٨٦/٢.

(٢) أى دفنهن على الحياة كما كان من عادتهم.

متفشية ، فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية لتقطيع موسيقى ، وهذا معنى رابع للثلاثة التى عددناها آنفاً ، أما خامس هذه المعانى فهو أن الكلمة التى جمعت المعانى الأربعة على غرابتها إنما هى أربعة أحرف أيضاً . . . . أ . هـ[1] .

ومهما كان كلام البشر بليغاً فإنه لا يمكن أن تحقق فيه الدقة لإبراز المعانى والمشاعر ، وقد يقع المتكلم فى تطويل ممل أو تقصير مخل ، ويمكن أن يكون فى الكلام عبارات أو ألفاظ لا تفى بالمقصود من الكلام .

هذا وإن استطاع أن يعبر عن معانيه وأفكاره ضاق عليه السبيل لتعبير بدقة عن المعانى .

أما القرآن فقد حاز التطابق والتوافق التام بين اللفظ والمعنى .

وإذا كانت الألفاظ وفق المعنى ، والمعانى وفقها ، لا يفضل أحدهما على الآخر كانت بالغة السمو فى البلاغة والفصاحة ، ولا يمكن استبدال أى لفظ بغيره فإنه لا يسد مسده ، ولم يغن غناءه .

الرأى الثانى :

اعترف أصحاب هذا الرأى بوقوع الترادف فى اللغة وأنكروه فى القرآن الكريم .

ومن هؤلاء الإمام الفخر الرازى ، والإمام بدر الدين الزركشى ، والحافظ السيوطى .

ذهب الإمام الرازى إلى وقع الترادف فى اللغة وعرفه بأنه :

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية تأليف الأستاذ مصطفى صادق الرافعى . طبعة المكتبة التوفيقية ص ٢٢٦/٢٣٠ بتصرف .

« الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد » .

وأنكر على الاشتقاقيين تلمس المعانى الفارقة مما لا يشهد بصحتها عقل ولا نقل[1] .

هذا عن موقفه من الترادف فى اللغة .

أما الترادف — أى التطابق التام — فى القرآن الكريم فإنه لا يقول به ، والمتتبع للإمام الفخر فى تفسيره يجد ذلك جلياً .

وعلى سبيل المثال عند تفسيره قوله تعالى : « لا ريب فيه »[2] يقول المسألة الأولى الريب قريب من الشك وفيه زيادة ، كأن ظن سوء ، تقول : رابنى أمر فلان إذا ظننت به سوءاً ...[3] .

وعند تفسير قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم ... »[4] فى المسألة الثالثة يقول الألفاظ الواردة فى القرآن القريبة من معنى الختم هى : الطبع والكتان ، والرين على القلب . ..[5] .

وعند تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا »[6] يبين الإمام أن الله تعالى منع من قوله : « راعنا » وأذن فى قوله « انظرنا » ، وإن كانتا مترادفتين لاشتعالها على نوع مفسدة . وذلك لوجوه منها .

(١) المحصول فى أصول الفقه ٩٣/١ .
(٢) سورة البقرة من الآية ٢ .
(٣) التفسير الكبير طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٨/٢ .
(٤) سورة البقرة من الآية ٧ .
(٥) التفسير الكبير ٤٨/٢ .
(٦) سورة البقرة آية ١٠٤ .

١ — أن اليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهى « راعينا » ومعناها : اسمع لا سمعت ، وكان المؤمنون يقولون للنبى ﷺ إذا تلا عليهم شيئاً من العلم وخافوا عدم تحصيله قالوا : (راعنا) أى أمهلنا يا رسول الله حتى نحفظ عنك فلما سمع اليهود المؤمنين يقولون ذلك خاطبوا به النبى ﷺ وهم يعنون سبه ﷺ .

٢ — أن اليهود كانوا يقولون : « راعينا » أى أنت راعى غنمنا ، حطاً لقدره ﷺ فنهاهم الله عنها .

٣ — أن قوله (راعنا) مفاعلة من الرعى بين اثنين ، فكان هذا اللفظ موهما المساواة بين المخاطبين ، فنهاهم الله تعالى عنه لأنه لابد من تعظيم الرسول ﷺ فى المخاطبة . قال تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً »[1] .

٤ — أنه خطاب مع الاستعلاء وكأنه قال : راع كلامى ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره .

٥ — أن (راعنا) على وزن عاطناً ، ثم إنهم قلبوا هذه النون إلى النون الأصلية وجعلوها كلمة مشتقة من الرعونة وهى الحمق .

فالراعن اسم فاعل من الرعونة فيحتمل أنهم أرادوا به المصدر أى فعلت رعونة ، ويحتمل أنهم أرادوا به صرت راعناً أى صرت ذا رعونة .

فإنهم يرمون النبى ﷺ بالرعونة والحمق .

وهذا ما سجله القرآن الكريم عليهم فى قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعناً فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا »[2] .

(١) سورة النور من الآية ٦٣ . (٢) سورة النساء آية ٤٦ .

فلما قصدوا هذه الوجوه الفاسدة نهى الله تعالى عن هذه الكلمة[1] .

ومن ثم فإن كلمة (انظرنا) أنسب فى مقام الخطاب للنبى ﷺ من (راعنا) وإن كانتا مترادفتين بالمعنى العام ، فليس فى (انظرنا) إلا سؤال الانتظار ، أمرهم الله تعالى أن يسألوه الإمهال لينقلوا عنه فلا يحتاجون إلى الإعادة .

ومن خلال ما تقدم فإن الإمام الرازى لا يقول بالترادف التام فى القرآن الكريم ، بل التقارب لأن الألفاظ مهما تقاربت فإن لكل لفظة دلالة خاصة بها لا يوحى بها غيرها .

واهتم الإمام بدر الدين الزركشى بقضية الترادف وتناولها فى مؤلفاته ، فعند الحديث عن التوكيد الصناعى — أى فى اصطلاح النحاة — ذهب إلى وقوع الترادف فى القرآن الكريم بقصد التوكيد الصناعى — وتبعه فى ذلك الحافظ السيوطى[2] . وذكر الزركشى لذلك بعض الشواهد مثل قوله تعالى : « فجاجاً سبلا »[3] . « ضيقاً حرجاً »[4] فى قراءة كسر الراء فى « حرجاً »[5] « وغرابيب سود »[6] .

(١) التفسير الكبير ٢٠٣/٣ بتصرف يسير .
(٢) الإتقان فى علوم القرآن طبعة مصطفى الحلبى الطبعة الرابعة . النوع السادس والخمسون ٨٥/٢
(٣) سورة الأنبياء من آية ٣١
(٤) سورة الأنعام من آية ١٢٥
(٥) وهى قراءة نافع وأبى جعفر وعاصم فى رواية أبى بكر . وقرأ بقية العشرة بفتح الراء ، انظر السبعة لابن مجاهد . تحقيق الدكتور شوقى ضيف . طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة . ص ٢٦٨ ، والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ، طبعة دار الفكر ٢٦٢/٢
(٦) سورة فاطر من الآية ٢٧

ورأى أن اللفظ الثانى جاء لتقرير معنى الأول بمرادفه[1] .

وذكر فى موضع آخر من البرهان [فى اجتماع التابع والمتبوع] أن العلماء يقدمون المتبوع ويكون فى التبع زيادة وصف ، فلو قدم لكان ذكر الموصوف بعده عيباً ، إلا أن يكون لمعنى أوجب تقديمه ، وقد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى : « وغرابيب سود » . ثم قال : والذى يظهر فى ذلك أن الموجب لتقديم « الغرابيب » هو تناسب الكلم وجريانها على نمط متساوى التركيب .

وذلك أنه لما تقدم البيض والحمر دون اتباع كان الأليق بحسن النسق وترتيب النظام أن يكون « السود » كذلك ، ولكنه لما كان فى « السود » هنا زيادة وصف كان الأليق فى المعنى أن يتبع بما يقتضى ذلك وهو الغرابيب ، فيقابل حظ اللفظ وحظ المعنى . . . . ووقع فى لفظ « الغرابيب » حظ المعنى فى زيادة الوصف ، وفى ذكر « السود » مفرداً من الاتباع حظ اللفظ إذ جاء مجرداً عن[2] صورة البيض والحمر .

فاتسقت الألفاظ كما ينبغى ، وتم المعنى كما يجب ، ولم يخل بواحدة من الوجهين ، ولم يقتصر على « الغرابيب » وإن كانت متضمنة لمعنى « السواد » لئلا تتنافر الألفاظ[3] .

وتقديم « الغرابيب » من أجل تناسق الآيات ورعاية الفواصل فنرى أن الزركشى قد ذكر أن « الغرابيب » أفادت زيادة معنى على السواد وقد سبق أن ذكر من أمثلة التوكيد الصناعى بالمترادف قوله تعالى : « وغرابيب سود » .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم - نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة ٢/٣٨٥

(٢) عن : لعل الصواب (على) بدلا من (عن) حتى يستقيم الكلام .

(٣) انظر البرهان ٢/٤٤٥

فيفهم من ذلك أنه يقصد بقوله اللفظ المترادف أى المتقارب لا سيما وأنه أنكر وقوع الترادف فى القرآن الكريم ، وقرر أن الألفاظ المترادفة فى القرآن وزعت بحسب المقامات فلا يقوم مرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر ، فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن ؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد ، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر فى التركيب ، وإن اتفقوا على جوازه فى الإفراد . أ . هـ[1]

وعند الحديث عن القسم السابع من أقسام التوكيد أفرد له عنواناً :

(عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه فى المعنى ، والقصد منه التوكيد) وأيما كان المراد من (أو) هنا سواء أراد بها التنويع أم الإضراب أم بمعنى الواو ... فإنه قد ذكر أمثلة ليست من المترادف بل هى متقاربة فى المعنى ومن ذلك :

١ — الظلم والهضم فى قوله تعالى : « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً »[2] .

والظلم غير الهضم ، لأن الظلم معناه : التعدى عن الحق إلى الباطل[3] . فهو اعتداء بتجاوز الحد .

تقول : ظلم الأرض أى حفرها فى موضع غير حفرها .

وظلم الحمار الأتان سفدها وهى حامل[4] .

والهضم هو : الاعتداء بالنقص ، والترك .

---

(١) البرهان ٤/٧٨ (٢) سورة طه آية ١١٢

(٣) التعريفات للجرجانى ص ١٢٥

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادى طبعه مصطفى الحلبى فصل الظاء باب الميم .

تقول : هضمه حقه هضما : نقصه ، وهضم له من حقه إذا كسر له منه.

والهضم بالتحريك : انضمام الجنبين ، وهو فى الفرس عيب .

والهضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها ، وهو من عيوب الخيل التى تكون خلقة[1] .

فالظلم فى الآية : التجاوز بالزيادة على السيئات .

والهضم : التعدى عليه بالنقص من الحسنات .

وبهذا يتبين أن الظلم غير الهضم .

٢ — ومن الألفاظ التى ذكرها فى القسم السابع من أقسام التوكيد « الخوف » و « الخشيه » ، قال تعالى : « لا تخاف دركا ولا تخشى »[2] مع أنه ذكر فى موضع آخر فى « البرهان » قاعدة فى ألفاظ يظن بها الترادف وليست منه وذكر من ذلك الخوف والخشية مما يدل على أنه لم يقصد بالترادف تمام التطابق .

يقول الزركشى عن الفرق بين الخوف والخشية لا يكاد اللغوى يفرق بينهما ، ولا شك أن الخشية أعلى من الخوف ، وهى أشد الخوف ، فإنها مأخوذة من قولهم : شجرة خشية إذا كانت يابسة وذلك فوات بالكلية ، والخوف من قولهم : ناقة خوفاء ، إذا كان بها داء ، وذلك نقص وليس بفوات ، ومن ثم خصت الخشية بالله تعالى فى قوله سبحانه : « ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب »[3] وفرق بينهما أيضاً ، بأن الخشية تكون من عظم المخشى ، وإن كان الخاشى قوياً ، والخوف يكون من ضعف الخائف ، وإن كان المخوف أمراً يسيراً ، ويدل على ذلك أن الخاء والشين والياء فى تقاليبها تدل على العظمة ، قالوا : شيخ للسيد الكبير ، والخيش

(١) لسان العرب مادة هضم .

(٢) سورة طه من الآية ٧٧ (٣) سورة الرعد آية ٢١

لما عظم من الكتان ، والخاء والواو والفاء فى تقاليبها تدل على الضعف ، وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة ، وقال تعالى : « ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » . فإن الخوف من الله لعظمته ، يخشاه كل أحد كيف كانت حاله ، وسوء الحساب وربما لا يخافه من كان عالماً بالحساب ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب .

وقال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »[1] ، وقال لموسى : « لا تخف »[2] . أى لا يكون عندك من ضعف نفسك ما تخاف منه من فرعون .

فإن قيل : ورد « يخافون ربهم » ؟

قيل : الخاشى من الله بالنسبة إلى عظمة الله ضعيف ، فيصح أن يقول : « يخشى ربه » لعظمته ، ويخاف ربه أى لضعفه بالنسبة إلى الله تعالى .

وفيه لطيفة ، وهى أن الله تعالى لما ذكر الملائكة وهم أقوياء ذكر صفتهم بين يديه ، فقال : « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون »[3] فبين أنهم عند الله ضعفاء ، ولما ذكر المؤمنين من الناس وهم ضعفاء لا حاجة إلى بيان ضعفهم ، ذكر ما يدل على عظمة الله تعالى ، فقال : « يخشون ربهم » ، ولما ذكر ضعف الملائكة بالنسبة إلى قوة الله تعالى قال : « ربهم من فوقهم »[4] أ . هـ . المقصود من كلامه .

وظهر اهتمام الزركشى بالألفاظ التى يظن بها الترادف وليست منه فى القرآن الكريم مبيناً الفروق بينها . وساق أمثلة كثيرة ، ومنها ما مر من (الخشية) و (الخوف) ومنها أيضاً : (القعود) و (الجلوس) .

(١) سورة فاطر آية ٢٨

(٢) سورة النمل آية ١٠ من قوله تعالى : (يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون) .

(٣) سورة النحل آية ٥٠

(٤) البرهان ٤/٧٨ — ٧٩

يقول : إن القعود لا يكون معه لبثة ، والجلوس لا يعتبر فيه ذلك ، ولهذا تقول : « قواعد البيت » ولا تقول : « جوالسه » ، لأن مقصودك ما فيه ثبات ، والقاف والعين والدال كيف تقلبت على اللبث ، والقعدة بقاء على حالة ، والدقعاء للتراب الكثير الذى يبقى فى مسيل الماء وله لبث طويل ، وأما الجيم واللام والسين فهى للحركة ، منه السجل للكتاب يطوى له ولا يثبت عنده ، ولهذا قالوا فى قعده : يقعد بضم الوسط ، وقالوا : جلس يجلس بكسرة ، فاختاروا الثقيل لما هو أثبت .

إذا ثبت هذا فنقول : قال الله تعالى : « مقاعد للقتال »[1] فإن الثبات هو المقصود ، وقال : « أقعدوا مع القاعدين »[2] ، أى لازوال لكم ، ولا حركة عليكم بعد هذا ، وقال : « فى مقعد صدق »[3] ولم يقل « مجلس » إذ لازوال عنه .

وقال : « إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس »[4] ، إشارة إلى أنه يجلس فيه زماناً يسيراً ليس بمقعد ، فإذا طلب منكم التفسح فافسحوا ، لأنه لا كلفة فيه لقصره ، ولهذا لا يقال : قعيد الملوك ، وإنما يقال : جليسهم ، لأن مجالسة الملوك يستحب فيها التخفيف ، والقعيد للمرأة لأنها تلبث فى مكانها ، ا . هـ[5] ، قال تعالى : « والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً .. »[6] .

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٢١
(٢) سورة التوبة من الآية ٤٦
(٣) سورة القمر من الآية ٥٥
(٤) سورة المجادلة من الآية ١١
(٥) البرهان ٤/٨٣ — ٨٤
(٦) سورة النور من الآية ٦٠

وبذلك بات واضحاً أن الإمام الزركشى ينفى الترداف التام فى القرآن الكريم .

وكان الحافظ السيوطى رحمه الله قد أهتم أيضاً بالحديث عن الترادف وعرفه بأنه : اتحاد المعنى وتعدد اللفظ .

ونقل اختلاف علماء اللغة فى ذلك ثم قال : والأصح وقوعه فمنه : الإنسان والبشر ، والحرج والضيق والرجس والرجز ... »[1] .

وذهب فى موضع آخر إلى الاعتراف بوجود فروق بين الكلمات المترادفة فى القرآن الكريم فيذكر اللفظ القرآنى دون مرادفه لمعنى لم يتوافر فى مرادفه ، فيقول فى معنى استوت فى قوله تعالى : « واستوت على الجودى »[2] حقيقة ذلك : جلست ، فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه ، لما فى الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لازيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس . ا . هـ[3] .

فاللفظة القرآنية تتناسب تمام التناسب وتتآلف مع دلالتها على المعنى المصاحب . فلا يمكن أن يدل عليه المرادف لها ولهذا يقول الحافظ السيوطى فى التحبير : الأصح أنه يجوز وقوع كل من الرديفين مكان الآخر ما لم يكن متعبداً بلفظه ، كلا إله إلا الله فلا يجزى : لا إله إلا الرحمن ، محمد رسول الله فلا يجزى أحمد رسول الله ا . هـ[4] .

---

(١) التحبير فى علوم التفسير للحافظ السيوطى تحقيق الدكتور فتحى عبد القادر فريد طبعة دار المنار ص ٢١٧
(٢) سورة هود من الآية ٤٤
(٣) معترك الأقران للحافظ السيوطى طبعة دار الفكر العربى ١/٢٩٠
(٤) التحبير ص ٢٧١

والقرآن الكريم متعبد بتلاوته، وعرفه العلماء بأنه: القول أو الكلام المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصحف المتعبد بتلاوته من أول الفاتحة حتى آخر سورة الناس[1].

ومن ثم لا يمكن أن تقوم لفظه مقام اللفظة القرآنية عند السيوطي.

أما تصريحه بوقوعه فإنه في اللغة وليس في القرآن الكريم.

الرأي الثالث:

ذهب بعض الدراسين المحدثين إلى وقوع الترادف في القرآن الكريم.

يقول الدكتور / إبراهيم أنيس: ففي القرآن الذي نزل بهذه اللغة، والذي نطق به الرسول للمرة الأولى نرى الترادف في بعض ألفاظه، ولا معنى لمغالاة بعض المفسرين حين يلتمسون في كل لفظ من ألفاظه شيئاً لا يرونه في نظرائه من الألفاظ الأخرى. ا. هـ[2].

وساق بعض الأمثلة تأييداً لرأيه. ومنها:

قوله تعالى: «تالله لقد آثرك الله علينا»[3]، وقوله تعالى: «وأني

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني طبعة عيسى البابي الحلبي ١/١٩، منة المنان في علوم القرآن للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة مطبعة الفجر الجديد — الطبعة الأولى ١/٤٣

(٢) اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس طبعة الأنجلو المصرية ص ١٨٠

(٣) سورة يوسف من آية ٩١

فضلتكم على العالمين»[1]، وقوله تعالى: «ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين»[2] وقوله: «فإن الجحيم هي المأوى»[3].

ثم قال: ويظهر أن السر في إنكار الترادف أن أصحاب هذا الرأي كانوا من الاشتقاقيين الذين أسرفوا في إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى أصل اشتقت منه، حتى الأسماء الجامدة والأسماء الأجنبية عن اللغة العربية أبوا إلا أن يجعلوا لها أصلا اشتقت منه فتراهم يقولون: إن «إبليس» مشتق من كيت جهنم مشتقة من كذا، ا. هـ[4].

لكن لا معنى لمغالاته فيما زعم من مغالاة بعض المفسرين في تلمس الفروق بين الألفاظ.

ورأي هذا الفريق وما ينحو نحوه مرفوض لأن وقوع الترادف على وجه المطابقة لا يستقيم مع لغة القرآن الكريم.

فمثلا (آثر) و (فضل) ليس بينها ترادف تام كما ذهب صاحب هذا الرأي، لأن الإيثار غير التفضيل.

فمعنى آثر في الآية: اصطفاه وتفرد به من دون الورى تشريفا له[5].

والاستئثار: التفرد بالشيء من دون غيره[6].

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٢

(٢) سورة آل عمران آية ١٥١

(٣) سورة النازعات آية ٣٩

(٤) اللهجات العربية ص ١٨٠

(٥) لسان العرب مادة آثر.

(٦) مفردات القرآن مادة آثر،

وفضله : مزاه ، والتفاضل بين القوم : التمازى فى الفضل .

والفضل يستعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر .

(فآثر) فى قوله : (لقد آثرك الله) اختارك الله بالتقوى والصبر — وقيل غير ذلك — وهذا شىء ينفرد به يوسف عن إخوته .

أما التفضيل : فإنه يستعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر .

فمعنى قوله تعالى : « وأنى فضلتكم على العالمين » (تفضيلهم على سائر الموجودين وقت التفضيل بما منحهم من النعم[1] .

فنعم الله تعالى عامة للخلق بيد أن بعضهم يمنحه الله تعالى زيادة منها .

أما إيثار الله العبد : إفراده بالشىء دون غيره .

والفضل : زيادة فى الشىء المشترك فيه مع الآخرين .

فبين (آثر) و (فضل) فرق فى المعنى ، فلا يمكن أن يقوم أحدهما مقام الآخر .

وأما ما استدل به صاحب هذا الرأى من ترادف (مأوى) و (مثوى) فى قوله تعالى : « ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » .

وقوله تعالى : « فإن الجحيم هى المأوى » ، فليس فيه ما رآه ، ولا فى معناه ما يؤى إليه ، فكيف ارتضاه مع أن بينهما فرقاً خفياً ، وبمعرفته المعنى جلياً .

ـأوى : المكان يأوى إليه شىء ويحتمى به .

تقول : أوى يأوى أوياً ومأوى ، وأوى إلى كذا انضم إليه[2] .

---

(١) روح المعانى للعلامة الألوسى ١٠/٢٥٠

(٢) لسان العرب مادة أوى .

ومنه قوله تعالى : « آوى إليه أخاه »[1] أى ضمه إلى نفسه :

قال تعالى : « إذ أوى الفتية إلى الكهف »[2] وقال تعالى : « قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء »[3] .

أما المثوى : فمن الثواء .

والثواء : الإقامة مع الإستقرار[4] .

قال تعالى : « وما كنت ثاوياً فى أهل مدين »[5] .

وقال تعالى : « إنه ربى أحسن مثواى »[6] ، وقال تعالى : « أكرمى مثواه »[7] .

فالمأوى والمثوى معنيان مختلفان .

إذ الأول يدور معناه حول الضم والحماية .

والثانى : يدور معناه حول طول المكث والإقامة .

فيجعل الله النار مكاناً يأوون إليه ويحتمون به ، وتكون موضع استقرار وإقامة لهم .

فانظر هل يمكن أن تجعل كلمة « مأوى » مكان « مثوى » فإنك إن فعلت ذلك أفسدت المعنى .

---

(١) سورة يوسف من الآية ٦٩

(٢) « الكهف « « ١٠

(٣) « هود « « ٤٣

(٤) مفردات القرآن مادة ثوى .

(٥) سورة القصص من الآية ٤٥

(٦) « يوسف « « ٢٣

(٧) « « « « ٢١

وابحث عن كلمة أخرى تقوم مقام أى لفظة قرآنية فى سياقها فإن اللغة تعجز أن تأتى بلفظة مثلها فى الدلالة على المعنى المراد .

ولعل ما قصده صاحب هذا الرأى أنه إذا نظر إلى المفردة القرآنية بعيدة عن السياق القرآنى فإنه قد يتقارب اللفظان فى المعنى ، وينفرد كل واحد منهما أو كلاهما بميزة ومعنى لا يدل عليه الآخر .

وما جاء فى القرآن بلغة بعض القبائل مرادفاً للغة قبيلة أخرى وكان اللفظان مذكورين فى موضوع واحد ، فهذا أيضاً لا يكون ترادفاً تاماً ، فإن القرآن يستعمل لفظة فى مكان دون أختها للدلالة على معنى معين ، وتأتى الأخرى للدلالة على معنى يوضح المقصود من الأولى .

فمثلا : أورد الحافظ السيوطى أمثلة فيما وقع بغير لغة الحجاز ، منها التدمير : بلغة حضرموت ، وفى لغة غيرهم : (الهلاك) .

ووردت المادتان فى موضوع واحد ، هو هلاك قوم فرعون[1] : قال تعالى : « فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً »[2] . وقال تعالى : « فكذبوهما فكانوا من المهلكين »[3] .

ومعنى الهلاك الموت .

ومادة الهلاك تدل على كسر وسقوط ، ولذا يقال للبيت هلك .

---

(١) الاتقان ١/١٧٧ ، وانظر (بحوث فى علوم القرآن للأستاذ الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى طبعة دار التوفيق النموذجية للطبع والنشر . الطبعة الأولى ص ١٢٢

(٢) سورة الفرقان من الآية ٣٦

(٣) سورة المؤمنون من الآية ٤٨

وهلك الشيء يهلك هلاكاً وهلوكاً ومهلكاً ومهكاً — بكسر اللام وفتحها — وتهلكة[1] .

والهلاك على أربعة أوجه :

١ — افتقاد الشيء عنك وهو موجود عند غيرك . « هلك عنى سلطانيه »[2] .

٢ — هلاك الشيء بالإفساد « ويهلك الحرث والنسل »[3] .

٣ — الموت . « إن امرؤ هلك »[4] .

٤ — بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً ومنه قوله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجه »[5] .

أما التدمير فإنه يدور حول أمرين :

١ — الاستئصال بالهلاك حتى يذهب أثرهم .

٢ — الهجوم عليهم بما يكرهون .

يقال : دمر تدميراً ودمر عليه بمعنى .

والدمار استئصال الهلاك .

---

(١) لسان العرب مادة هلك

(٢) سورة الحاقة آية ٢٩

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٠٥

(٤) سورة النساء من الآية ١٧٦

(٥) سورة القصص من الآية ٨٨

وقد دمر عليهم يدمر دمراً ودموراً : هجم ودخل بغير إذن[1] .

فالتدمير يدل على مباغتة الهلاك لقوم فرعون واستئصالهم وذهاب أثرهم .

أما الهلاك فإنه يدل على الموت دون هجوم العذاب عليهم .

وبعد هذا البيان فإنه لا يمكن بحال من الأحوال أن تقوم كلمة مقام الكلمة القرآنية فى سياقها المحكم على وجه الترادف التام ، فهيهات لبشر أن يصل لمثل هـــذا التطابق ، بل ألفاظ القرآن المتقاربة الموزعة على المواضع لا يمكن أن يحل لفظ منها مكان الآخر ويؤديه على التمام .

فكل لفظة فى القرآن لها جمالها ووقعها وتناسقها المتطابق مع معناها ، مؤتلفة مع دلالتها ، متماسكة مع سابقها ولاحقها ، متحدة فى سياقها متسقة مع غرضها وبهذا يتبين لنا بديع نظمه وعجيب تأليفه وسمو بلاغته حتى عجز الثقلان عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

---

(١) لسان العرب مادة دمر

فهرس المراجع

١) القرآن الكريم

٢) الإبهاج فى شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضى البيضاوى المتوفى ٦٨٥هـ تأليف شيخ الإسلام على بن عبد الكافى السبكى المتوفى سنة ٧٥٦هـ وولده تاج الدين عبد الوهاب السبكى المتوفى سنة ٧٧١هـ . تحقيق الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل . مطبعة الفجالة الجديدة بالموسكى . الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .

٣) الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ وبهامشه (إعجاز القرآن تأليف القاضى أبو بكر الباقلانى) طبعة مصطفى البابى الحلبى .

٤) إعجاز القرآن للباقلانى أبى بكر محمد بن الطيب المتوفى سنة ٤٠٣هـ تحقيق السيد أحمد صقر . طبعة دار المعارف . الطبعة الخامسة .

٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية تأليف الأستاذ مصطفى صادق الرافعى . المكتبة التوفيقية . بالقاهرة .

٦) البحر المحيط فى أصول الفقه للإمام بدر الدين الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤هـ . تحقيق لجنة من علماء الأزهر . طبعة دار الكتبى بالقاهرة الطبعة الاولى سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٧) بحوث فى علوم القرآن . تأليف الاستاذ الدكتور/ عبد الغفور محمود مصطفى جعفر . طبعة دار التوفيق النموذجية للطباعة الطبعة الاولى ١٩٨٥ .

٨) البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى تحقيق الاستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم . نشر مكتبة دار التراث . القاهرة .

٩) بيان إعجاز القرآن لأبى سليمان حمد بن محمد الخطابى نشر ضمن مجموعة رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى والجرجانى . تحقيق محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام . طبعة دار المعارف . الطبعة الرابعة .

١٠) تاج العروس للإمام محمد مرتضى الزبيدى . نشر دار ليبيا للتوزيع والنشر .

١١) التحبير فى علوم التفسير للحافظ جلال الدين السيوطى تحقيق الدكتور فتحى عبد القادر فريد . طبعة دار المنار .

١٢) التعريفات للشريف (على بن محمد أبى الحسن الحسينى الجرجانى) المتوفى سنة ٨١٦هـ طبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٧هـ — ١٩٣٨م .

١٣ — التفسير الكبير (مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازى طبعة دار الكتب العلميه بيروت .

١٤) التهذيب فى أسماء الذيب للحافظ السيوطى . مخطوط بمكتبة الأزهر ضمن مجموعة خطية برقم ١١٢٢ مجاميع .

١٥) جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر . تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد . الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م . دار العلم للملايين بيروت .

١٦) حاشية الشريف الجرجانى المتوفى ٨١٦هـ على شرح العضد المتوفى ٧٥٦هـ لمختصر ابن المنتهى الأصولى لابن الحاجب المتوفى ٦٤٦هـ . طبعة ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م نشر مكتبة الكليات الأزهرية .

١٧) الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى — تحقيق محمد على النجار . طبعة دار الهدى . بيروت . الطبعة الثانية .

١٨) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة شهاب الدين السيد محمود الألوسى . طبعة دار الفكر . بيروت .

١٩) السبعة لابن مجاهد . تحقيق الدكتور/ شوقى ضيف . طبعة دار المعارف . الطبعة الثالثة .

٢٠) الصاحبى فى فقه اللغة لأحمد بن فارس — مطبعة المؤيد . سنة ١٣٢٨هـ — نشر المكتبة السلفية .

٢١) الفروق فى اللغة لأبى هلال العسكرى . طبعة دار الآفاق — بيروت .

٢٢ — فصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب . طبعة عام ١٩٧٩م .

٢٣) القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى . طبعة مصطفى البابى الحلبى . الطبعة الثانى . ١٣٧١هـ — ١٩٥٢م

٢٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى . نشر مكتبة خياط . بيروت . لبنان .

٢٥) لسان العرب لابن منظور . طبعة دار المعارف .

٢٦) الألفاظ لابن السكيت طبعة المطبعة الكاثوليكية . بيروت سنة ١٨٩٥م .

٢٧) الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى . طبعة . بيروت سنة ١٩١١م .

٢٨) الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى لأبى الحسن على بن عيسى

الرمانى . تحقيق الدكتور/ فتح الله صالح المصرى . طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر . المنصورة . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م .

٢٩ — اللهجات العربية للدكتور/ إبراهيم أنيس . طبعة الأنجلو المصرية .

٣٠) ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه لعبد الملك بن قريب الأصمعى نشره مظفر سلطان سنة ١٩٦٤ بدمشق . ونشره ماجد حسن الذهبى بتحقيقه وتعليقه . طبعة دار الفكر بدمشق . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م .

٣١) مجالس ثعلب . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون — طبعة دار المعارف بمصر . الطبعة الثالثة .

٣٢) مجلة مجمع اللغة العربيه . العدد الرابع .

٣٣) مجموع الفتاوى لابن تيميه جمع عبد الرحمن بن قاسم الحنبلى . طبعة المختار الإسلامى .

٣٤) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه الأندلسى . المجلس الوطنى بقطر .

٣٥) المحصول فى أصول الفقه للإمام الفخر الرازى . طبعة دار الكتب العلميه . بيروت .

٣٦) المخصص لأبى الحسن على بن إسماعيل بن سيده . المكتب التجارى للطباعه والنشر .

٣٧) المزهر فى علوم اللغه وأنواعها للحافظ جلال الدين السيوطى — تحقيق محمد جاد المولى وأخرين — طبعه عيسى البابى الحلبى .

٣٨) معجم مقاييس اللغه لأبى الحسين أحمد بن فارس . تحقيق

الأستاذ عبد السلام هارون . طبعة مصطفى البابى الحلبى . الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ — ١٩٨٠م .

٣٩) معترك الاقران للحافظ جلال الدين السيوطى طبعة دار الفكر العربى .

٤٠) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهانى طبعة دار الفكر للطباعة والنشر بيروت . لبنان .

٤١) مقدمه فى أصول التفسير لابن تيمية طبعة المكتبة السلفية .

٤٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن لفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى طبعة عيسى البابى الحلبى .

٤٣) منة المنان فى علوم القرآن للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة . طبعة دار الفجر الجديد . الطبعة الاولى .

٤٤) النشر فى القراءات العشر تأليف الحافظ أبى الخير محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى . مراجعة فضيلة الشيخ محمد على الضباع . طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .